2000 0320 - 0001 - f

أهالي المفقودين في الحرب الأهلية اللبنانية:

ابناؤنا أحياء.. فكيف نعتبرهم موتى؟

هادي حشاش - بيروت:

«كان عمره ثلاثة وعشرين عاماً.. ذهب ولم يعد قصد منطقة فرن الشباك ليحضر الخبز وكان معه رفيقاه محمد وخالدي.. انتظرناه طويلاً على المائدة قبل ان نكتشف نبأ اختطافه من قبل مجموعة مسلحة..»؟!

قالتها (ام محمود) والدموع تنهمر من عينيها وهي تنتظر بفارغ الصبر عودة ابنها (محمود)، ولان نوبة قلبية داهمتها لزمت الفراش وتابع ابنها (ابراهيم) القصة: «دخل اخي محمود الفرن لاحضار الخبز.. وانتظره صاحباه في الخارج الا ان مجموعة مسلحة اشتبهت بهما فاخذتهما للتحقيق..».

ويتابع: كان ذلك اثر مقتل (الجميل) رئيس الجمهورية حينها، ولما خرج محمود من الفرن لم يجد صاحبيه سأل المسلحين عنهما فطلبوا منه سرعة مغادرة المكان والا اختطفوه رفض محمود قائلاً اتينا ثلاثتنا وسنذهب ثلاثتنا.. اصر محمود على موقفه ولتعنته اخلى المسلحون سراح صاحبيه واعتقلوه!.

قاطعته الام قائلة: كان خاطباً.. وكان من المفترض ان يتم زواجه بعد يومين.. خطيبته انتظرته عشرة اعوام كاملة وعندما لم يعد اليها تزوجت وانجبت طفلاً..

ليست هذه سوى واحدة من عشرات القصص التي ترويها لـ «عكاظ الاسبوعية» «امهات المفقودين في الحرب الاهلية اللبنانية عام ١٩٨٢م ومن ذلك الحين وحتى الآن تتحرق سبعة عشر الف ام شوقاً لابنائهن وكل ما تتمناه كل والدة منهن ان تسمع ولو خبراً عن ابنها المفقود ينبئ بانه موجود.. وبانه ما يزال على قيد الحياة..

سبعة عشر الف ام لبنانية مكلومة يتجرعن الحزن على فقد ابنائهن ويمضغن الحسرة على الذين افتقدوا اثناء الحرب تجهش ام محمود بالبكاء: انظروا الى صورته المعلقة هل يبدو سيئاً.. وتنتحب: لماذا اختطفوه؟ انني ما زلت انتظر عودته..

وننتقل الى قصص المفقودين:

«ام محمد» لم تستكن يوماً منذ العام ١٩٨٢م تاريخ اختطاف ابنها وبقي صوتها العالي وجراتها المتناهية المطالب الاول للكشف عن مصير ابنها..

اساسا «ام محمد» لم تُرب اولادها كأي ام عادية بل عملت في خبز المناقيش والارغفة وبيعها في الطرقات لتعيل اولادها اطعمتهم من عرق جبينها حتى كبروا وصار بامكانهم اعالتها فترتاح هي من الجري وراء لقمة العيش. لكن يبدو انه لم يكن مقدراً لها ان ترتاح بعد سنوات الذل والشقاء هذه.. وهي اليوم وبعد ثمانية عشر عاما لا زالت تبكي ابنها وتشتم رائحته ولا تتعب في البحث عنه بصوت قوي قادر ترجمة الدموع احياناً..

«ام محمد» لم تستقبلنا في بيتها فبيتها منذ ذلك اليوم المشؤوم ظل مهجوراً ولم يعتبه احد ابداً. تنتقل من منزل الى آخر وحين طلبنا منها ان نزورها استقبلتنا في بيت ابنتها. اعتقدت اننا جئنا لنتحقق معها حول ما تعرفه عن ابنها لنتولى نحن بدورنا البحث عنه لكنها حين فهمت اننا من جريدة «عكاظ» السعودية اخذت تخبرنا كل ما تعرفه وكل ما يدور في رأسها وقلبها.

محمود ابنها المخطوف كان في المملكة ذهب ليعمل ويتمكن من اعالة امه بعدما وصل الى عمر يسمح له بالعمل. لكنه حين سمع ان بيروت تحترق من القصف الاسرائيلي ايام الاجتياح ترك عمله وماله واغراضه وكل ما يملك وجاء مسرعاً الى امه في بيروت ليطمئن عليها لكن يبدو وكأنه اتى ليختطف.

وتروي (ام محمد) القصة فتقول: (نزل من البيت بعد مذبحة «صبرا وشاتيلا» ليطمئن على رفاقه فوجده مسلحون واخذوا يشتمونه. هو لم يسكت لهذا فاختطفوه. جاءتني اخبرتني بذلك فذهبت فوراً الى مركز الاسرائيليين الذي كان يومها على المدينة الرياضية وقابلت الضابط الموجود هناك فرق قلبه علي حين رآني ابكي بشدة واصرخ فقال لي: اذا كان ابنك موجوداً لدينا فسنأخذه ونرحل. دخلت وبحثت بين المخطوفين لكني لم اجده. حينها قال لي الضابط ان ابني بيد مسلحي الكتائب».

وتمسح دموعها وتضيف: «ابني لم يكن وحده بين الكتائب لكن اغلب المخطوفين حينها كان اهلهم متوفين ولا احد يسأل عنهم اما انا فلم يمن الله علي بنعمة الموت وبقيت اسأل عنه وابحث عن اي اثر له.

لكن كل ذلك لم يئن (ام محمد) يومياً عن البحث عن ابنها فقصدت دار الفتوى الاسلامية والرئيس سليم الحص ورئيس الوزراء حينها شفيق الوزان وغيرهم من الفعاليات السياسية والدينية لكن كلهم لم يتمكنوا من افادتها. حينها قررت (ام محمد) ان تعتمد على نفسها في البحث عنه فطلبت من ابنها ان يعود من المملكة العربية السعودية حيث كان يعمل بدوره ويجلب لها كل ما جناه مع اخيه من اموال لتتولى بنفسها البحث عنه. وتقول ام محمد: «سنة ١٩٨٢ صرفت ما يفوق المئة الف ليرة لبنانية لاعرف مكان ابني حتى استدللنا عليه اخيراً ووجدناه في المجلس الحربي».

معرفة مكان محمود لم يشف غل امه بل كانت الحرقة تتأكلها لفك سجن ابنها فتقول: آخر خبر عرفته عنه انه رحل الى اسرائيل مع مجموعة من الشباب في العام ١٩٨٩ وقد شاهدت صورة لهؤلاء الشباب بحوزة احدى الامهات اثناء ترحيلهم ورأيت من بينهم محمود ابني».

وكان حزن (ام محمد) لا يكفيها لتسمع ان على كل ذوي المخطوفين ان يعلنوا وفاة ابنائهم المخطوفين وان يعتبروهم فداء للوطن. هذا ما اثار جنون (ام محمد) فقالت: (اي وطن ومن الذي اعطاهم الحق ان يطلبوا منا ذلك هل احد منهم تولى تربية ابني كما فعلت كي يعطي لنفسه الحق ان يطلب مني ان اوفي ابني.

ابني حين اختطف كان عمره واحداً وعشرين عاماً واليوم صار عمره اربعين ولو كان غير صالح او سيئ الاخلاق لما (زعلت) عليه او تحسرت كنت سأقول دفع ثمن حياته السيئة ولو كان ينتمي لاي حزب لعزّيت نفسي بأنه اختطف دفاعاً عن عقيدة آمن بها لكن كل ذلك لم يحصل. ابني شاب صالح ومهذب عاد من السعودية ليطمئن علي ولم يحمل في حياته سلاحاً ضد احد».

ثم تضيف والدموع في عينيها: «نحن حتى الآن نجهل مصير اولادنا. لذا لن ادفع ابني وفاء للوطن بخاصة وان الوطن لم يحارب دولة اجنبية بل كنا نحارب بعضنا البعض. واعتقد اننا دفعنا ثمناً باهظاً جداً حتى الآن فاتنا من شدة غضبي ارتفعت نسبة السكر في دمي، وكثرة بكائي ادى الى عملية استئصال عيني اليمنى وزوجي منذ علم بالخبر المشؤوم اصيب بمرض القلب وبالماء الزرقاء في عينيه من كثرة البكاء. يكفي ان ندفع نحن أنفسنا فداء للوطن اما ابني الشاب فلا».

وغصت (ام محمد) ولم تعد تتمكن من متابعة الحديث فأخذ ابنها محمد يشرح كيف تمكن من معرفة مكانه وحتى رؤيته للحظات فقال: «بعد ان عرفنا انه بحوزة الكتائب وانهم نقلوه الى سجن ابو حبيب ذهبت الى هناك ودفعت ستمائة ليرة لكل حارس ودخلت لاقابل المسؤول عن السجن. محمود كان هناك فرآني من ثقب باب السجن فأخذ يصرخ ويطلب مني ان اخرجه وهو يبكي فطمأنته ودخلت الى غرفة المسؤول الذي اتفقت معه بان يخلي سبيله لقاء مبلغ خمسين الف ليرة وانه يخرج الى المطار مباشرة كان ذلك بعد خمس سنوات من اختطاف اخي لكن لسوء الحظ انه صادف يومها ان قامت الانتفاضة الفلسطينية فلم يخرج محمود وضاعت الخمسين الف ليرة بعد ذلك رأت امي صورة مع احدى امهات المخطوفين اثناء ترحيلهم الى اسرائيل واستطاعت ان تتعرف على محمود من بينهم. كل ذلك كان دليلاً على انه لا يزال على قيد الحياة بالاضافة الى دليل قاطع وهو احساس الام».

فقاطعت (ام محمد) ابنها لتقول: «عدة مرات رأيته في المنام. مرة رأيته في منطقة ارض جلول فاستيقظت وذهبت الى هناك اثناء الليل لابحث عنه لكني فجأة وانا في منتصف طريقي عاد لي رشدي فاستغفرت ربي وعدت الى بيتي. مرة اخرى رأيته يقول لي انه عائد ليقول لاحدى الامهات ان ابنها لا زال على قيد الحياة فحاولت ان ازورها لاخبرها بذلك لكني خفت من ان يعتبرونني مجنونة».

لكن مؤخراً عاد احد المخطوفين الذين كانوا في اسرائيل وسأل عن عنواني حتى استدل علي وزارني ليخبرني ان محمود لا يزال على قيد الحياة وهو لا يزال في اسرائيل وقد اعطاني عدة اشارات كدليل على صحة ما يقول فكيف بعد ذلك يطلبون مني ان اعلن وفاته؟.

«ماهر قصير ابن الخامسة عشر عاما» كان الاول في صفه، مرحاً طيب القلب لكن همه اكبر من عمره. هكذا تصفه اخته ميرنا حين تحدثت لنا عنه. شدة كرهه للطائفية والاحتلال دفعته الى الانخراط في صفوف الجبهة الوطنية لمحاربة اسرائيل في العام ١٩٨٢ بالرغم من صغر سنه. وفي احد الاشتباكات بين الجبهة الوطنية من جهة والكتائب والقوات الاسرائيلية من جهة اخرى اختطف ماهر وبقي مجهول المصير حتى الآن.

وتقول ميرنا «اخته الصغرى»: «حين سمعت امي خبر اختطافه لم تترك اي مسؤول الا وقصدته كلهم اكدوا لها ان ماهراً لا زال على قيد الحياة».

وماهر لم يكن ابناً عادياً لام عادية فتقول ميرنا: «امي كانت قريبة منه كثيراً هو ابنها البكر وحين كان يخرجان سوياً كان الناس يعتقدون انهما صديقان كان الرجل في حياة امي، بخاصة حين كان ابي مسافراً خارج لبنان ووضعت كل املها فيه حتى انهارت عندما علمت انه اختطف. لكن ردة فعلها جاءت عكسية فصارت تحاول ان تظهر امام من جاء لزيارتها وكانها بافضل حال وتعد الجميع بان ماهر عائد لا محالة واكثر ما يثير جنونها عبارة «المرحوم ماهر» حتى انها طردت مرة جارتنا لانها تفوهت بهذه العبارة. كانت تتعمد ان تظهر بشكلها الطبيعي امام الناس لكن ما ان تخلوا الى نفسها حتى تصبح بحالة يرثى لها».

و(ام ماهر) لا تكتفي بالحديث عن بكرها بصيغة الحاضر بل هي تحاول ان تشتري له الاغراض وتخصص له زاوية في غرفة الجلوس لتضع فيها صوراً له وبعض الزهور التي تصنعها بيديها. وعن هذه الزاوية تقول ميرنا: «كل عام في عيد ميلاده في السادس من ديسمبر تعمد امي الى تغيير هذه الزاوية وتجديدها فتتفنن بصوره وتزينها بالورود التي تصنعها من القماش محاولة بذلك ان توهم نفسها بان ماهراً مازال موجوداً بيننا وبانه كل عام يكبر ويتغير».

ثم تضيف والدموع في عينيها: «نحن حتى الآن نجهل مصير اولادنا. لذا لن ادفع ابني وفاء للوطن بخاصة وان الوطن لم يحارب دولة اجنبية بل كنا نحارب بعضنا البعض. واعتقد اننا دفعنا ثمناً باهظاً جداً حتى الآن فاتنا من شدة غضبي ارتفعت نسبة السكر في دمي، وكثرة بكائي ادى الى عملية استئصال عيني اليمنى وزوجي منذ علم بالخبر المشؤوم اصيب بمرض القلب وبالماء الزرقاء في عينيه من كثرة البكاء. يكفي ان ندفع نحن أنفسنا فداء للوطن اما ابني الشاب فلا».

وغصت (ام محمد) ولم تعد تتمكن من متابعة الحديث فأخذ ابنها محمد يشرح كيف تمكن من معرفة مكانه وحتى رؤيته للحظات فقال: «بعد ان عرفنا انه بحوزة الكتائب وانهم نقلوه الى سجن ابو حبيب ذهبت الى هناك ودفعت ستمائة ليرة لكل حارس ودخلت لاقابل المسؤول عن السجن. محمود كان هناك فرآني من ثقب باب السجن فأخذ يصرخ ويطلب مني ان اخرجه وهو يبكي فطمأنته ودخلت الى غرفة المسؤول الذي اتفقت معه بان يخلي سبيله لقاء مبلغ خمسين الف ليرة وانه يخرج الى المطار مباشرة كان ذلك بعد خمس سنوات من اختطاف اخي لكن لسوء الحظ انه صادف يومها ان قامت الانتفاضة الفلسطينية فلم يخرج محمود وضاعت الخمسين الف ليرة بعد ذلك رأت امي صورة مع احدى امهات المخطوفين اثناء ترحيلهم الى اسرائيل واستطاعت ان تتعرف على محمود من بينهم. كل ذلك كان دليلاً على انه لا يزال على قيد الحياة بالاضافة الى دليل قاطع وهو احساس الام».

فقاطعت (ام محمد) ابنها لتقول: «عدة مرات رأيته في المنام. مرة رأيته في منطقة ارض جلول فاستيقظت وذهبت الى هناك اثناء الليل لابحث عنه لكني فجأة وانا في منتصف طريقي عاد لي رشدي فاستغفرت ربي وعدت الى بيتي. مرة اخرى رأيته يقول لي انه عائد ليقول لاحدى الامهات ان ابنها لا زال على قيد الحياة فحاولت ان ازورها لاخبرها بذلك لكني خفت من ان يعتبروهنني مجنونة».

لكن مؤخراً عاد احد المخطوفين الذين كانوا في اسرائيل وسأل عن عنواني حتى استدل علي وزارني ليخبرني ان محمود لا يزال على قيد الحياة وهو لا يزال في اسرائيل وقد اعطاني عدة اشارات كدليل على صحة ما يقول فكيف بعد ذلك يطلبون مني ان اعلن وفاته؟.

«ماهر قصير ابن الخامسة عشر عاما» كان الاول في صفه، مرحاً طيب القلب لكن همه اكبر من عمره. هكذا تصفه اخته ميرنا حين تحدثت لنا عنه. شدة كرهه للطائفية والاحتلال دفعته الى الانخراط في صفوف الجبهة الوطنية لمحاربة اسرائيل في العام ١٩٨٢ بالرغم من صغر سنه. وفي احد الاشتباكات بين الجبهة الوطنية من جهة والكتائب والقوات الاسرائيلية من جهة اخرى اختطف ماهر وبقي مجهول المصير حتى الآن.

وتقول ميرنا «اخته الصغرى»: «حين سمعت امي خبر اختطافه لم تترك اي مسؤول الا وقصدته كلهم اكدوا لها ان ماهراً لا زال على قيد الحياة».

وماهر لم يكن ابناً عادياً لام عادية فتقول ميرنا: «امي كانت قريبة منه كثيراً هو ابنها البكر وحين كان يخرجان سوياً كان الناس يعتقدون انهما صديقان كان الرجل في حياة امي، بخاصة حين كان ابي مسافراً خارج لبنان ووضعت كل املها فيه حتى انهارت عندما علمت انه اختطف. لكن ردة فعلها جاءت عكسية فصارت تحاول ان تظهر امام من جاء لزيارتها وكانها بافضل حال وتعد الجميع بان ماهر عائد لا محالة واكثر ما يثير جنونها عبارة «المرحوم ماهر» حتى انها طردت مرة جارتنا لانها تفوهت بهذه العبارة. كانت تتعمد ان تظهر بشكلها الطبيعي امام الناس لكن ما ان تخلوا الى نفسها حتى تصبح بحالة يرثى لها».

و(ام ماهر) لا تكتفي بالحديث عن بكرها بصيغة الحاضر بل هي تحاول ان تشتري له الاغراض وتخصص له زاوية في غرفة الجلوس لتضع فيها صوراً له وبعض الزهور التي تصنعها بيديها. وعن هذه الزاوية تقول ميرنا: «كل عام في عيد ميلاده في السادس من ديسمبر تعمد امي الى تغيير هذه الزاوية وتجديدها فتتفنن بصوره وتزينها بالورود التي تصنعها من القماش محاولة بذلك ان توهم نفسها بان ماهراً مازال موجوداً بيننا وبانه كل عام يكبر ويتغير».

ثم تضيف والدموع في عينيها: «نحن حتى الآن نجهل مصير اولادنا. لذا لن ادفع ابني وفاء للوطن بخاصة وان الوطن لم يحارب دولة اجنبية بل كنا نحارب بعضنا البعض. واعتقد اننا دفعنا ثمناً باهظاً جداً حتى الآن فاتنا من شدة غضبي ارتفعت نسبة السكر في دمي، وكثرة بكائي ادى الى عملية استئصال عيني اليمنى وزوجي منذ علم بالخبر المشؤوم اصيب بمرض القلب وبالماء الزرقاء في عينيه من كثرة البكاء. يكفي ان ندفع نحن أنفسنا فداء للوطن اما ابني الشاب فلا».

وغصت (ام محمد) ولم تعد تتمكن من متابعة الحديث فأخذ ابنها محمد يشرح كيف تمكن من معرفة مكانه وحتى رؤيته للحظات فقال: «بعد ان عرفنا انه بحوزة الكتائب وانهم نقلوه الى سجن ابو حبيب ذهبت الى هناك ودفعت ستمائة ليرة لكل حارس ودخلت لاقابل المسؤول عن السجن. محمود كان هناك فرآني من ثقب باب السجن فأخذ يصرخ ويطلب مني ان اخرجه وهو يبكي فطمأنته ودخلت الى غرفة المسؤول الذي اتفقت معه بان يخلي سبيله لقاء مبلغ خمسين الف ليرة وانه يخرج الى المطار مباشرة كان ذلك بعد خمس سنوات من اختطاف اخي لكن لسوء الحظ انه صادف يومها ان قامت الانتفاضة الفلسطينية فلم يخرج محمود وضاعت الخمسين الف ليرة بعد ذلك رأت امي صورة مع احدى امهات المخطوفين اثناء ترحيلهم الى اسرائيل واستطاعت ان تتعرف على محمود من بينهم. كل ذلك كان دليلاً على انه لا يزال على قيد الحياة بالاضافة الى دليل قاطع وهو احساس الام».

فقاطعت (ام محمد) ابنها لتقول: «عدة مرات رأيته في المنام. مرة رأيته في منطقة ارض جلول فاستيقظت

دقنو

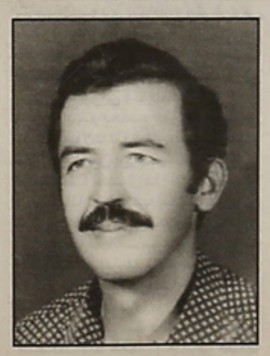

غملوش

د السبع

ماهر

شكراً للدكتور هاشم ودحلان

هذا قدر مصر

السفير: محسن كامل(*)

تعليقا على مقالة الاخ الفاضل د.عبدالله صادق دحلان، رجل الأعمال السعودي والكاتب الاقتصادي تحت عنوان «وجهة نظر مستثمر عربي في مصر» التي نشرت بتاريخ ١٦ مارس الجاري.. أود أن أوضح لمن لا يعرفه أن له من اسمه نصيبا فهو انسان صادق فعلا، وله مواقف حاسمة وشجاعة في قضايا الاقتصاد والاستثمار.. وهو شعلة حماس لا تنطفئ لا يكاد يستقر في مكان فهو دائم الترحال.. ولمصر نصيب كبير من رحلات العمل التي يقوم بها.. ولقد ذكرني د.عبدالله بحماسه وصدقه بما كتبه الكاتب الكبير مدير عام مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ورئيس تحرير جريدة عكاظ الواسعة الانتشار الدكتور هاشم عبده هاشم عن الصغار الذين يتطاولون على مصر الشقيقة الكبرى التي تتحمل بشجاعة مسؤوليتها التاريخية والتزاماتها العربية.. وفيما يتعلق بالاستثمار في مصر فإنه يحضرني ما ذكره لي عدد من رجال الأعمال السعوديين الذين التقيت بهم في جدة، والذين لهم استثمارات ضخمة في مصر، من أنهم لن يجدوا فرص استثمار آمن وأفضل -بعد المملكة- من التي توفرها لهم مصر وأن لهم في تجربتهم الناجحة مثالا واضحا على ذلك إضافة إلى التسهيلات التي تقدم لهم.

ولاشك أن البعض حاول أن ينال مما تتمتع به مصر من أمن من خلال تضخيم حادث جنوب مصر.. وقد كان تعليق السيد الرئيس حسني مبارك في افتتاح معرض الكتاب عميق المعنى.. واضحا.. وفي الصميم، حينما قال سيادته: «ليس هناك مصري مسلم ومصري قبطي.. فالاثنان مصريان». ونحن جميعا نعلم أنه كلما كان قدر مصر عاليا تناهت الى أسماعنا من أسفل بعض تعليقات وصيحات الصغار..

أيضا أثار د.عبدالله موضوع الحملة المغرضة على شركتنا الوطنية العملاقة والتي تتجاوز في رأينا الحادث المؤسف الأخير لأسباب ومصالح معروفة، وأعجبني حماسه ودفاعه عن مصر للطيران والتي تتمتع بسمعة دولية ممتازة، وقد شاركني الإعجاب الأخ الفاضل حسن المفتي، وهو المدير الاقليمي لمصر للطيران والمشرف على منطقة الشرق الأوسط.. والذي يتحمل مسؤولية سوق من أكبر أسواق النقل الجوي في العالم وهو خط (مصر/ المملكة) والاستاذ حسن المفتي مثله مثل الدكتور عبدالله يشتغل حماسا إضافة إلى خبرته الكبيرة في مجال الطيران والسياحة، وقد ذكر لي بمناسبة المقال موضوع الحديث، أن الشركتين الوطنيتين في الدولتين الشقيقتين قد استعانتا بأسس التعاون والتكامل، ونجحتا في تيسير نقل أكثر من مليون ونصف مليون راكب سنويا بمعدل حركة طيران يومية ما بين ٧-١٠ رحلات يوميا.

وأخيرا أقول للدكتور عبدالله وكل المخلصين الذين يتحلون بشجاعة الرأي أن مصر آمنة ومستقرة وسائرة في الطريق الصحيح مرتفعة القامة لا تلهيها أصوات ضعيفة تأتي من بين أقدامها، ولن هذا هو قدر مصر.. وما تتحمله مصر من مسؤوليات تاريخية جسام وبعض الصغائر هو قدرها.

(*) قنصل عام مصر في جدة

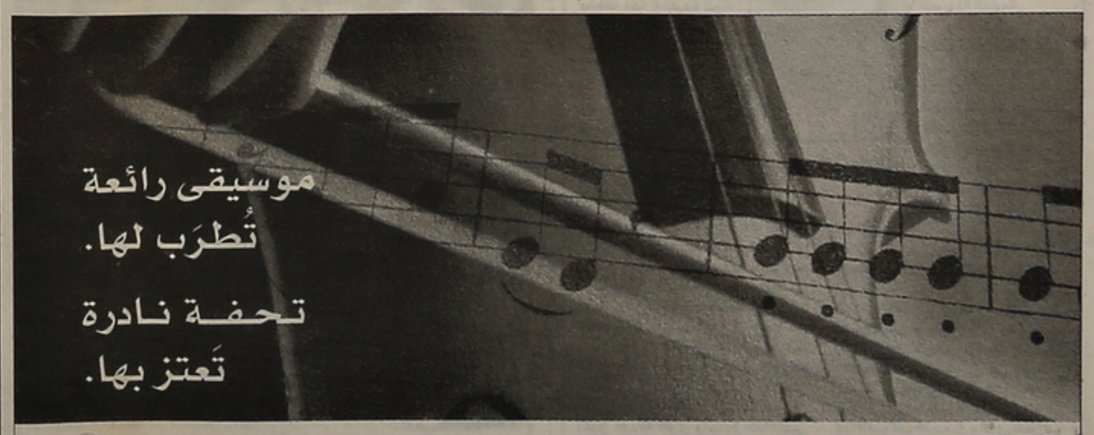

- تعبئة ذاتية (٢٥ حجر) وكوارتز
- غطاء زجاجي من الصفير المقاوم للخدش
- رباط من الجلد الأصلي
- كفالة دولية لمدة سنة واحدة